خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١/٢٤

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين

كنت أتناول السرايا في عهد النبي ﷺ، وفي هذا الصدد سأتناول اليوم ذكر سرية كُرْز بن جابر رضي الله عنه. حدثت في شوال من السنة السادسة للهجرة نحو العُرنيين. قال البعض إنها سرية سعيد بن زيد ولكن قال الأكثرون إنها سرية كرز بن جابر. وهناك قول آخر أنها سرية جرير بن عبد الله البَجَلي. ورد بأن إسلام جرير بن عبد الله المذكور كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين. (السيرة الحلبية)

وكان سبب هذه السرية كما ورد في صحيح البخاري كتاب الجهاد وكتاب الديات عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَدِمَ أُنَاسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْنَةَ. وعند ابن جرير وأبي عوانة كان أربعة منهم من عرينة والثلاثة من عكل. والرجل الثامن لم يكن من هاتين القبيلتين، ولم يكن نسبه معروفًا. فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وتحدثوا معه عن الإسلام. وفي رواية أخرى قيل: إنهم بايعوا على الإسلام وكانوا مرضى. وقال أبو عوانة إنهم كانوا ضعفاء جدًّا، وكانت وجوههم شاحبة جدا، وبطونهم منتفخة. فقالوا: يا رسول الله، أعطنا مأوى وأطعمنا. وكانوا قد أقاموا في صُفّة المسجد النبوي. فلما تعافوا لم تتوافق أجسامهم مع جو المدينة، أي أن الجوع الذي كان يسبب مرضهم قد زال، ولكن بشكل عام وجدوا أن مناخ المدينة غير مناسب لهم، وفقًا لما قالوا. وقال ابن إسحاق إنهم لم يعتادوا على المناخ وأصبحوا ضعفاء، رغم أن صحتهم تحسنت قليلًا بسبب زوال الجوع ولكنهم تعرضوا لبعض الأمراض الأخرى.

في رواية أخرى قيل إن وباءً انتشر في المدينة في ذلك الوقت يُدعى "بِرْسام"، وهو مرض يؤثر على العقل ويسبب ورماً في الرأس والصدر. فقالوا إن هذا المرض قد وصل هنا، وإن مناخ المدينة غير مناسب لهم، لأنهم من أهل المواشي وليسوا من أهل الزراعة. فقالوا: يا رسول الله، وفر لنا الحليب. فقال رسول الله ﷺ: ليس لدي شيء آخر لكم، ولكن اذهبوا إلى الإبل الحلوب. وأرسلهم إلى المراعي. وفي رواية أخرى، أمرهم رسول الله ﷺ بالذهاب إلى مراعي "فيفا" و"الخبار"، وهما منطقتان صحراويتان قرب

المدينة. من هذه الرواية يظهر أنهم لم يمكثوا طويلًا في المدينة، بل خرجوا سريعا منها وشربوا من حليب الإبل، فاستعادوا صحتهم. وفي رواية أخرى، ورد أن النبي ﷺ أذن لهم بالذهاب إلى إبل الصدقة ليشربوا من حليبها. وعندما تعافوا تمامًا واستعادوا قوتهم، وأصبحت بطونهم صغيرة، ارتدوا عن الإسلام وأخذوا الإبل الحلوب معهم. من جهة كان هذا اللطف من النبي ﷺ، وفي المقابل هم خانوا الأمانة عندما تحسنت حالتهم.

وقيل إن يسار، مولى رسول الله ﷺ، مع بعض أصحابه أدركهم، هؤلاء ساقوا معهم الإبل الحلوب بعد ارتدادهم، فتحداهم المسلمون وتعقبوهم، فهم قاتلوهم. وقطعوا يدي يسار ورجليه وطعنوا بالشوك عينيه ولسانه حتى مات. هؤلاء كانوا هم اللصوص الذين سرقوا الإبل وقتلوا حراسها المسلمين. ثم هاجموا الرعاة وقتلوهم أيضًا. وقتلوا أولا يسارا ثم الرعاة الآخرين. وهرب أحد الناجين إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث قائلاً: لقد قتلوا أصحابي وساقوا الإبل.

روى محمد بن عمر أن امرأة من بني عمرو بن عوف جاءت هناك راكبة على حمارها ومرّت بجانب يسار الذي كان تحت شجرة، فرأته مقتولًا. فعادت إلى قومها وأخبرهم بالحادث، فخرجوا ووجدوا جثمانه وحملوه إلى قباء.

وفي صحيح مسلم، أن عشرين رجلا كانوا مع النبي ﷺ فبعثهم، وفي رواية أن النبي ﷺ بعث عشرين فارسا على آثارهم، أي كانوا قد أخذوا النوق ولما وصل الخبر إلى النبي ﷺ بعث إليهم عشرين رجلا ليمسكوا بهم، وذكرت أسماء بعضهم، وهم سَلمة بن الأكوع وأبو رحم وأبو ذر الغفاري وبُريدة بن الحسيب، ورافع بن مقيس وأخوه جندب وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو بن عوف المزني وجوال بن سراقة الثعلبي وسويد بن الصخر الجهني، وكلهم من المهاجرين، فأمَّر عليهم النبيُّ ﷺ كرزَ بن جابر الفهري وبعثهم لملاحقة العدو، وبعث معهم خبيرا في تتبع الآثار ثم دعا على هؤلاء الأعداء، فقال يا رب اجعلهم لا يرون الطريق وضيِّق عليهم الطريق حتى لا يتمكنوا من السفر، فأعماهم الله عن الطريق، فأُسروا في نفس اليوم، فلما طلع النهار جاء بهم هؤلاء إلى النبي ﷺ. وفي رواية أن كرز بن جابر وأصحابه خرجوا بحثا عنهم حتى أمسوا، فباتوا في حرة، و لم يكونوا يعرفون أين ذهب هؤلاء، فجاءت إليهم فجأة امرأة تحمل كتف البعير، فأمسكوا بها، وسألوها عن هذه الكتف، فقالت قد مررت بقوم قد ذبحوا بعيرا فأعطوني هذه الكتف، وهم في هذه الغابة، ثم قالت عندما تصلون إليهم سترون الدخان في مكانهم، فساروا إليهم وحين وصلوا إليهم كانوا قد فرغوا من تناول الأكل، فطلبوا منهم الاستسلام، ثم أسروهم كلهم، وربطوهم وأركبوهم وراء ظهورهم على خيولهم، وجاءوا بهم إلى المدينة، وكان النبي ﷺ في رغابة، وهو موضع مجاور لجرف وهو على مسافة ثلاثة أميال من المدينة.

عن أنس ﷺ أنه خرج مع بعض الشباب حتى لقي بهم رسولُ الله ﷺ في وادي رغابة عند مكان تجتمع فيه مياه السيول. فأمر رسول الله ﷺ بإحضار المسامير المحماة، وعندما أحميت، سَمَرَ ﷺ أعينهم لأنهم سمروا أعين الرعاة المسلمين.

في رواية أخرى، عندما جيء بهم إلى رسول الله ﷺ، قطع أيديهم من جانب وأقدامهم من جانب آخر، وسمر أعينهم وتركهم في حرّ الشمس حتى ماتوا. وفي رواية أخرى، سُمرت أعينهم وتُركوا في الشمس يطلبون الماء و لم يُعطَوه.

يقول أنس: رأيت أحدهم يلعق فمه بلسانه بسبب العطش ليجد برودة من الحر الشديد والشمس التي كان يواجهها حتى مات و لم يُكْوَ لإيقاف دمه و لم يعالَج. قال أبو قلابة: هؤلاء هم الذين قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إسلامهم وحاربوا الله ورسوله. يقول ابن سيرين: وقعت حادثة العرنيين قبل نزول حكم الحدود.

على أية حال، يبدو من كل ما حدث أن المسلمين ظلموا ظلما كبيرا، لكن التعاليم الإسلامية نزلت لاحقًا وهي كالتالي: أنزل الله تعالى آية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. فلم يسمر رسول الله ﷺ بعده عينَ أحد و لم يقطع لسان أحد ولا يد أحد ولا قدمه. بل لما أرسل النبي ﷺ جيشا بعد ذلك منعهم من الـــمُثلة، وكان يوصيهم بالصدقة ويمنعهم من المثلة.

يقول محمد بن عمر الواقدي وابن سعد: كانت هناك خمس عشرة ناقة أُخِذت من المرعى. على أية حال، هذا ما فعله الأعداء مع المسلمين، لذلك انتُقِم منهم بالطريقة نفسها وبالعقوبة نفسها. لكن لم يُعاقَب الأعداء على هذا النحو بعد ذلك أبدا. مع أن هذا كان ردا على تصرفات الأعداء ولكن هناك رد مفصّل أيضا على اعتراض بعض الناس القائلين: لماذا صبّ المسلمون هذه المظالم على الأعداء؟ فقد رد مرزا بشير أحمد ﷺ على هذا الاعتراض من قِبل معارضي الإسلام ردا جميلا فقال في كتابه "سيرة خاتم النبيين": كانت هذه الأيام خطيرة جداً على المسلمين حيث كان البلد كله يشتعل بنار العداوة بتحريض من قريش واليهود. وفي إطار سياستهم الجديدة، قرروا إلحاق الضرر بالمسلمين بطرق خفية بدلاً من شن هجوم مباشر على المدينة. وبما أن الخداع والغدر كان جزءاً من أخلاق القبائل العربية البدائية، فقد كانوا يسعون لإلحاق الضرر بالمسلمين بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

والحادثة التي نتحدث عنها الآن كانت حلقة من هذه السلسلة القذرة التي انتهت بشكل مروع. وتفصيلها أن في شوال سنة ٦ هجرية، جاء بعض الرجال من قبيلتي عُكْل وعُرَيْنَة، وكان عددهم ثمانية، إلى المدينة وأظهروا محبتهم للإسلام وأسلموا. وبعد إقامتهم لفترة، اشتكوا من مشاكل في المعدة والطحال

بسبب مناخ المدينة، فجاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله! نحن أهل البادية وقد قضينا حياتنا مع الحيوانات ولسنا معتادين على حياة المدينة، لذلك مرضنا. فقال النبي ﷺ: إذا كنتم تعانون في المدينة فاذهبوا خارجها حيث ترعى إبلنا، واشربوا من ألبان الإبل وستتعافون. وفي رواية أخرى أنهم قالوا: يا رسول الله، إذا أذنت لنا فسنذهب خارج المدينة حيث ترعى إبلك. فأذن لهم النبي ﷺ. على أي حال، خرجوا بإذن النبي ﷺ إلى المرعى حيث كانت إبل المسلمين.

وعندما استقر هؤلاء الأشقياء هناك، وتفحصوا المكان جيداً، وأصبحوا بصحة جيدة بعد شرب ألبان الإبل والعيش في الهواء الطلق، هجموا فجأة على رعاة الإبل وقتلوهم بوحشية وذبحوهم كما تُذبح البهائم، ثم غرسوا أشواك الصحراء الحادة في ألسنتهم، حين كان رمق الحياة باقيا فيهم. فإذا حاولوا إصدار صوت أو تحركوا من شدة الألم، زادت الأشواك من عذابهم. ولم يكتف هؤلاء الظالمون بذلك، بل سَمَلوا بأسياخ محماة أعين المسلمين شبه الموتى. وهكذا مات هؤلاء المسلمون الأبرياء في العراء مضطربين من شدة العذاب. وكان من بينهم خادم خاص للنبي ﷺ اسمه يَسَار، وكان مسؤولاً عن رعي إبل النبي ﷺ.

وبعد أن أكمل هؤلاء الوحوش عملهم الوحشي، جمعوا الإبل وساقوها معهم. وصل الخبر إلى النبي ﷺ عن طريق أحد الرعاة الذي نجا منهم بالصدفة، أرسل النبي ﷺ على الفور مجموعة تتضمن عشرين صحابيا في أثرهم. كان هؤلاء القوم قد قطعوا مسافة قليلة، ولكن الله وفق المسلمين أن يلحقوا بهم ويأسروهم ويعودوا بهم مقيدين بالحبال. لم تكن أحكام واضحة قد نزلت بعد على النبي ﷺ لمعاقبة مثل هذه الأفعال، فكان ﷺ يتبع أحكام أهل الكتاب بحسب مبادئه القديمة، ما لم يترل حكم جديد في الإسلام، وقرر معاقبتهم بأخذ القصاص منهم بحسب الشريعة الموسوية وعاملهم بحسب ما عامل هؤلاء الظالمون الرعاةَ المسلمين. هذا كان تعليم موسى عليه السلام وكان معمولا به ما لم تترل أحكام الشريعة كاملةً. فعوملوا على هذا النحو لتكون هذه العقوبة عبرة للآخرين.

فقُتلوا بالطريقة نفسها- مع تغيير بسيط - في مكان مكشوف في المدينة. ولكن الله كان قد قدّر تعليما آخر للإسلام. وجاء النهي عن المُثلة حتى خلال العقوبات القصاصية الانتقامية، أي مُنع المسلمون من أي تشويه لجثة القتيل أو قطع أطرافه أو غير ذلك ولو قصاصا وعقابا.

وقد كتب بشأن هذا الحادث: ليس بنا حاجة لأن نكتب المزيد بهذا الصدد، لأن الظلم كان قد بدأ من الكفار الذين ارتكبوا هذا العمل الشنيع الوحشي ضد المسلمين الأبرياء دون أي مبرر، لمجرد عدائهم للإسلام، وكان كل ما فُعل بهؤلاء مجرد قصاص ورد فعل على اعتدائهم، أي قد عوقب هؤلاء الأعداء قصاصا، وقد تم ذلك في وقت كانت فيه البلاد كلها مشتعلة بعداوة الإسلام. ثم إن هذا القرار كان

وفقا للشريعة الموسوية، ومع ذلك لم يُقرّ الإسلام هذا الحكم، بل منع من مثل هذا العقاب في المستقبل. ونظرًا إلى هذه الظروف والمعطيات، لا يستطيع أي عاقل أن يعترض على هذا العقاب.

وليكن معلوما أيضا أن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى المدينة ناوين السوء منذ البداية، والأغلب أنهم قد تلقوا تعليمات مسبقة من قبيلتهم لإلحاق الضرر بالمسلمين وهم بين ظهرانيهم، وربما جاءوا بنية سيئة ضد النبي ﷺ أيضًا، ولكنهم حين لم يجدوا فرصة لتحقيق نواياهم الشريرة وهُمْ داخل المدينة، قرروا الخروج منها لتنفيذ مؤامرتهم. ومما يدل على أنهم جاءوا بنوايا شريرة ما فعلوه برعاة المسلمين، فإنهم لم يفعلوا بهم ما يفعل اللصوص والصعاليك، بل كان تصرفا انتقاميا كلية.

ولو قيل إنهم كانوا قد أسلموا بصدق القلب في البداية، ولكن فسدت نيتهم بعد رؤية الإبل، فكان من المفروض أن يهربوا بالإبل، وإذا حاول أحد الرعاة منْعهم من ذلك كان يمكنهم أن يقتلوه ويهربوا بالإبل.

ولكن الطريقة التي قتلوا بها الرعاة المسلمين والتي ظلوا فيها ينفذون فيهم هذه العملية الدموية الوحشية الطويلة معرضين أنفسهم للخطر (لقد قضوا هناك وقتا لا بأس به في تعذيب الرعاة والقضاء عليهم بأنواع التعذيب) كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن تصرفهم هذا لم يكن نتيجة طمع عابر في الإبل، بل كان تصرفا عدائيًا ناتجا عن بغض شديد وحقد دفين. وأما ما عاقبهم به النبي ﷺ قصاصا منهم، فكان وفقًا للشريعة الموسوية قبل أن تنزل الأحكام الإسلامية في مثل هذه القضية. غير أن الأحكام الإسلامية نزلت بعد ذلك بوقت قريب واعتبرت مثل هذا التعذيب غير مشروع ولو عقابا وانتقاما. فقد ورد في صحيح البخاري ما نصه: أن النبي ﷺ كان بعد ذلك يحثّ على الصدقة وينهى عن المثلة. أي أن النبي ﷺ كان بعد هذا الحادث يأمر بالإحسان وحسن المعاملة وينهى عن تشويه جثث القتلى.

بعض الباحثين الغربيين، بمن فيهم وليام موير أيضا، قد أثاروا الاعتراض كعادتهم بذكر هذا الحادث وقالوا لقد قُتل هؤلاء الصعاليك بمنتهى الهمجية والوحشية.

ولكن إذا نظرنا إلى جميع الظروف والملابسات لوجدنا أن الإسلام نقي الذيل وبريء تماما من هذا الطعن. ذلك أن هذا الحكم لم يكن من أحكام الإسلام، بل كان من أحكام شريعة موسى عليه السلام، التي لم ينسخها المسيح الناصري عليه السلام، بل أقرها كما هي. أما إذا كان هؤلاء المعترضون المسيحيون يقولون هذا واضعين في الاعتبار قول المسيح عليه السلام: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضا، وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ"، فلهم الحق كل الحق أن يثيروا هذا الاعتراض، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل مِن عاقل يرى هذا التعليم صالحا للعمل به. وهل هناك أي رجل أو امرأة أو جماعة أو حكومة من المسيحيين قد عمل بهذا التعليم؟ لا شك أن هذا التعليم صالح لوعظ الناس مِن على المنابر، ولكن لا قيمة له من حيث

العمل به على أرض الواقع، كما يستحيل أن يكون أي عاقل مستعدا للعمل به. وما دام الأمر كذلك، فالتلاعب بمشاعر الناس بتقديم هذه الألاعيب العاطفية أمامهم للطعن في المسلمين إنما يدل على جهل هؤلاء الطاعنين أنفسهم. لو نَظَرَ المرء في تعليم موسى عليه السلام الذي كان – على عكس المسيح عليه السلام– مقننا حقيقيا ومدركًا لحقيقة القانون جيدا، أو فَحَصَ أحداث التاريخ على ضوء تصرفات المسيحيين، لا على ضوء أقوالهم النظرية، لتبينَ له أنه ليست هناك ديانة يمكنها أن تباري الإسلام على أرض الواقع، لأن الإسلام لا يقول إلا ما يفعل، ولا ازدواجية فيه، بل يتبوأ مقاما عاليا من حيث القول والفعل بحيث لا يسع أي عاقل غيرِ متعصب الاعتراضُ عليه، بل لا بد أن يثني على الإسلام من الصميم. فلا هو يأمر –كالشريعة الموسوية– بالانتقام في كل حال، وبأخذ الثأر بدون النظر إلى الحيثيات، ولا هو يوصي – كالتعليم المسيحي– بعدم العقاب في أي حالة، وبتشجيع المجرم على ارتكاب الجريمة بمساعدته فيما يريد. كلا بل إن الإسلام بعيد عن طريق الإفراط والتفريط ويعطي تعليما وسطا معتدلا هو الأساس للسلام الحقيقي في العالم، وهذا التعليم الإسلامي هو قول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي يجب أن تكون عقوبة كل سيئةٍ بقدر حجمها وشدتها، ولكن إذا كان هناك أمل أن العفو عن الجاني أو الرفق به سيسفر عن إصلاحه، فالأفضل العفو عنه والرفق به، ومَن عفا وأصلح استحق الأجر عند الله تعالى. هذه هي الشريعة التي جاء بها الإسلام بهذا الشأن، وليس بوسع عاقل أن ينكر أنها أفضل تعليم يأخذ في الاعتبار جميع جوانب الحاجات الإنسانية. وفي حالة العقاب أيضا قد اشترط الإسلام أن لا تتجاوز العقوبة حدها الملائم، حيث حرّم الأعمال الوحشية مثل المثلة بجرة قلم. وعلى النقيض –وبالرغم من هذا التعليم المسيحي الجميل في الظاهر وغير الصالح للعمل به– فإن ما فعله المسيحيون بأعدائهم من بشاعة وما ارتكبوه في الحروب ولا يزالون يرتكبونه من تصرفات بشعة وحشية فهو صفحة مفتوحة في تاريخ الشعوب ونحن في غنى عن ذكره هنا.

أتناول الآن ذكر غزوة ذي قَرَدْ. هناك اختلاف بين أصحاب السِيَر والمحدثين حول زمنها. يرى المحدثون أنها وقعت بعد صلح الحديبية وقبل غزوة خيبر، أي ما بين شهر ذي القعدة في السنة السادسة الهجرية ومحرم السنة السابعة الهجرية. بينما يرى أصحاب السِير أنها كانت بعد غزوة بني لحيان، أي بعد جمادى الأولى في السنة السادسة الهجرية.

وقال الإمامان البخاري ومسلمُ في غزوة ذي قرد: كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وقد ذكراها بعد الحديبية وقبل غزوة خيبر. وقال العلامة الحافظ ابن حجر: إن ما رواه الإمامان أحمد ومسلم من حديث إياس بن سلمة يؤكد أن هذه الغزوة قبل غزوة خيبر بثلاثة أيام، حيث ذكر سلمة بن الأكوع صلح الحديبية ثم قصة ذي قرد، وقال في آخرها: فرجعنا – أي من الغزوة – إلى المدينة، فو الله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر.

أما ابن اسحاق، وابن سعد من أصحاب السير، فقالا على عكس ذلك أن غزوة ذي قرد كانت في سنة ست قبل الحديبية.

لم يحلل مرزا بشير أحمد ﷺ هذه القضية تحليلا كاملا إلا أنه، في آخر كتابه "سيرة خاتم النبيين" وضع العناوين لبقية الكتاب، فقد كتب فيها أن غزوة ذي قَرَدْ كانت قبل غزوة خيبر في شهر محرم ٧ هـ.

تُسمّى غزوة ذي قَرَدْ بغزوة الغَابَة أيضًا، لأنَّ لِقاح[1] النبي ﷺ كانت ترعى هناك. والغَابَة موضع على بعد أربعة أميال من المدينة في الجهة الشمالية الشرقية من جبل أحد.

ويطلق عليها غزوة ذي قَرَدْ لأنه لما هاجم عُيَيْنَة بن حصن واستاق لقاح النبي ﷺ، تبعه رسول الله ﷺ حتى ذي قَرَدْ، وهو اسم ماء على بعد نحو اثني عشر ميلاً من المدينة. وتفصيل ذلك كما يلي:

كان للنبي ﷺ عشرين لقحة وبعض الإبل أيضا، وكانت ترعى البيضاء ودون البيضاء إلى الجبل –وهو طريق خيبر من المدينة– فأجدب ما هنالك، فقربوها إلى الغابة، وكان الراعي يؤوب بلبنها إلى النبي ﷺ كل ليلة عند المغرب. فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري، في أربعين فارسا فاستاقوها.

وفي رواية كان قائدهم عبد الرحمن بن عيينة، وظل عيينة موجودًا في موضع خلفهم لمددهم. وخلال هذه الإغارة قتلوا ابن أبي ذر الذي كان يرعى اللقاح وسبوا زوجة أبي ذر واسمها ليلى، بينما نجت منهم زوجة ابن أبي ذر مع أنها كانت موجودة هناك.

من كان عُيَيْنَة بن حصن؟ لقد ورد في التعريف عنه:

كان عُيَيْنَة بن حصن قائدًا لقبيلة بني فَزَارَة في غزوة الأحزاب. خلال غزوة الأحزاب، عندما خططت ثلاثة جيوش من الكفار للانضمام إلى بني قريظة من أجل الهجوم المكثف على المدينة، كان عُيَيْنَة بن حصن قائد أحد هذه الجيوش.

أسلم عُيَيْنَة بن حصن بعد فتح مكة. وقيل إنه أسلم قبل فتح مكة وشارك فيه. كما شارك في غزوة حنين والطائف أيضا. وأرسله النبي ﷺ مع خمسين فارسًا إلى بني تميم، ولم يكن بينهم أي صحابي من الأنصار أو المهاجرين. وكان سبب هذا السريّة أن بني تميم منعوا عامل النبي ﷺ من أخذ أموال الزكاة.

ثم في عهد أبي بكر الصديق، ارتدّ عند نشوب فتنة الردة البغاة، وعندما ادعى طليحة النبوة، تحالف معه، أي كان قد أسلم سابقًا ثم ارتد وبايع طليحة. ثم جاء بعد ذلك أسيرًا إلى أبي بكر الصديق ﷺ، فغفر له وأحسن إليه، فأسلم مرة أخرى. وعليه فقد ظلت حالة إيمانه غير ثابتة على النحو المذكور.

لقد ورد في إحدى الروايات أن النبي ﷺ منع أبا ذر الغفاري من الخروج إلى الغابة ولكنه رغم ذلك قصد الغابة. وورد في تفصيل ذلك أن أبا ذر قد استاذن رسول الله ﷺ الى لقاحه قبل إغارة عيينة، فقال له رسول الله ﷺ: "إني أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك، لأننا لا نأمن من عيينة بن

---

[1] جمع لِقحة وهي الناقة الحلوب غزيرة اللبن. (المترجم)

حصن وأصحابه"، وهذه الضاحية تقع في طرف من أطرافهم، فألحّ عليه أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: "لكأني بك قد قُتل ابنك وأُخذت امراتُك، وجئت تتوكأ على عصاك." فكان أبو ذر يقول: عجبًا لي، أن رسول الله ﷺ كان يقول: "لكأني بك" وأنا ألحّ عليه، فكان – والله – كما قال رسول الله ﷺ. قال أبو ذر: والله إني لفي مترلنا، ولقاح رسول الله ﷺ قد روحت وعطفت وحلبت عتمتها، ونمنا، فلما كان الليل أحدق بنا عيينة بن حصن في أربعين فارسا، فصاحوا بنا وهم قيام فأشرف لهم ابني فقتلوه.

لقد ورد بهذا الخصوص أن سلمة بن الأكوع خرج في طلب العدو، فقد ورد في البخاري عن سلمة بن الأكوع: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرْعَى بِذِي قَرَدٍ، وكان معه رباح خادم النبي ﷺ. قَالَ فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ غَطَفَانُ. قَالَ سلمة: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهْ. وهذا ما كان يقال عند وجود الخطر، قَالَ فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ (أي قالها بصوت عال حتى يصل صوته إلى أهل المدينة، وكان صوته عاليا، وأرسل رباح لإطلاع النبي ﷺ بهذا الحدث، ثم يقول:) ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنْ الْمَاءِ فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي وَكُنْتُ رَامِيًا وَأَقُولُ أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعْ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ. (لقد خرج وحده لمقابلة العدو) وَأَرْتَجِزُ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ من خلال الأشجار حَتَّى إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ.

وورد في صحيح مسلم: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً التي ألقوها يَسْتَخِفُّونَ، وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا مِنْ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وهكذا ظل لوحده يطاردهم ويرميهم بالسهام.

لقد ورد في كتب التاريخ والسيرة وفي شروح كتب الحديث أنه لم يتم استنقاذ جميع اللقاح بل تمكن العدو من أخذ بعضها معه.

على أية حال، لما علم النبي ﷺ بالحادث أعلن في المدينة حالة الخطر، فَنُودِيَ: يَا خيل الله ارْكَبِي، فأصبح الفرسان يجتمعون عنده وكَانَ أول من أقبل إِلَيْهِ الْمِقْدَاد بن عَمْرو، كما وصل عباد بن بشر، وسعد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وعكاشة، ومحرز بن نضلة، وأبو قتادة وأبو عياش. وَخلف النبي ﷺ سعد بن عبَادَة فِي ثَلَاثمِائَة من قومه، وقال للفرسان اخرجوا في طلب العدو حتى آتيكم، أي قال لهم أن يتقدموا وأنه يأتي خلفهم. وركب ﷺ في خمسمائة وقيل: سبعمائة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة. وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه.

في هذه السرية نجد قصة كالتالي: قال ابن اسحاق: قال رسول الله ﷺ لأبي عياش: "يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك ليلحق بالقوم"، قال أبو عياش يا رسول الله أنا أفرس الناس،

وضربت الفرس، فو الله ما جرى بي خمسين ذراعا حتى طرحني، فعجبت أن رسول الله ﷺ قال لي: "لو أعطيتَه أفرسَ منك" وقلت له أنا أفرس الناس، ثم أعطى رسول الله ﷺ فرس أبي عياش معاذَ بن ماعص.

يقول سيدنا سلمة الذي كان يلاحق العدو: حَتَّى إِذَا امْتَدَّ الضُّحَى أَتَاهُمْ عُيَيْنَةُ مَدَدًا لَهُمْ (من هنا يبدو أنه كان قريبا منهم) وَهُمْ فِي ثَنِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ، ثُمَّ عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَقَالَ عُيَيْنَةُ مَا هَذَا الَّذِي أَرَى قَالُوا لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرْحَ مَا فَارَقَنَا بِسَحَرٍ حَتَّى الْآنَ (وهو يرمينا ويحرر مواشيه) وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا. قَالَ عُيَيْنَةُ لَوْلَا أَنَّ هَذَا يَرَى أَنَّ وَرَاءَهُ طَلَبًا لَقَدْ تَرَكَكُمْ. (كان ذكيا لذلك قال من المؤكد أن وارءه جيشا، ثم قال لأصحابه): لِيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ فَقَامَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ، فَقُلْتُ لهم أَتَعْرِفُونِي قَالُوا وَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ أَنَا بْنُ الْأَكْوَعِ وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكَنِي قَالَ أَحَدُهُمْ أَنَا أيضا أَظُنُّ ذلك، فَرَجَعُوا (خوفا). وهذه رواية البخاري.

يقول سيدنا سلمة: فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (الذين كان قد بعثهم قبله) يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ قَالَ فَإِذَا أَوَّلُهُمْ (محرز بن نضلة) الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَعَلَى إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ. فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الْأَخْرَمِ وَقُلْتُ يَا أَخْرَمُ احْذَرْهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ (أي لا تتقدم وانتظر). قَالَ بكل شجاعة : يَا سَلَمَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ فَخَلَّيْتُهُ. حتى أن الأخرم وعبد الرحمن بن عيينة تقاتلا. وجرح عبدَ الرحمن وحصانَه، وقتل عبدُ الرحمن الأخرمَ بطعنة رمح وركب حصانه.

وفي رواية أخرى، أن أوبار قتل سيدنا الأخرم. كان أوبار وابنُه راكبين على جمل واحد. فقتل كليهما سيدُنا عكاشة بطعنة واحدة برمح. وفي رواية أن سيدنا الأخرم قُتل على يد مسعدة.

وعن هذه الشهادة ذُكرت رؤيا أيضا، كان سيدنا الأخرم قد رأها قبل يوم من مواجهة العدو، فقد قال عن ذلك: رأيت سماء الدنيا أفرجتْ لي حتى دخلتها حتى انتهيت إلى السماء السابعة، ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى فقيل لي: هذا مترلك. فعرضتها على أبي بكر الصديق، فقال: أبشرْ بالشهادة! فقُتل بعد ذلك بيوم. ولحق أبو قتادة فارسُ رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين، فعقر ابنُ عيينة فرسَ أبي قتادة، وقتله أبو قتادة، وركب فرسه.

لقد ذُكرت مواجهة سيدنا أبي قتادة لمسعدة الفزاري أيضا.

ففي رواية أن سيدنا أبا قتادة حين علم بغارة العدو، كان النبي ﷺ قد سافر مع أصحابه إلى ذباب وهو جبيل أسود في طريق من ثنية الوداع إلى أُحد، فجاء إلى النبي ﷺ فقال له ﷺ: امضِ يا أبا قتادة نصرك الله، قال أبو قتادة: فخرجت وكان معي شخص آخر، فوصلنا سريعا إلى العدو. فقال له صاحبه: يا أبا قتادة ماذا تقول؟ أما القوم فلا طاقة لنا بهم، فقال له أبو قتادة: أترى أن نقف حتى يأتي رسولُ الله ﷺ مع العسكر، بدلا من أن نهاجمه نحن الاثنان؟ أما أنا فأريد أن أهاجم من ناحية وتهاجم من ناحية

أخرى، ثم هاجما فسبَّب للعدو مشكلة. فرموه بسهم، فوقع في جبهته، قال أبو قتادة: فترعت قدحي، وأظن أني قد نزعت الحديدة. ومضيت على وجهي فلم أنشب أن طلع علي فارس على فرس فاره وعليه مغفر له فأثبتني و لم أُثبته.

قال: لقد ألقانيك الله يا أبا قتادة وكشف عن وجهه فإذا هو مسعدة الفزاري، فقال: أيما أحب إليك مجالدة أو مطاعنة أو مصارعة؟ قال: فقلت: ذاك إليك فقال: مصارعة (كانت للحرب أساليب غريبة في ذلك العصر) فترجَّل عن راحلته وترجلت أنا أيضا، وعقلت دابتي وسلاحي إلى شجرة، وعقل دابته وسلاحه الى شجرة، ثم تصارعنا، فمكَّنني الله منه، فإذا أنا على صدره، فهممت أن أنهض لأحمل سيفي، وليحمل سيفه، وكنا بين العسكرين، وكان احتمال أن يهاجَم كلانا، فإذا بشئ مسَّ رأسي، فإذا نحن قد تعالجنا، حتى بلغنا سلاح مسعدة فمددت يدي إلى سيفه وحملته، فلما رأى أن السيف وقع بيدي قال: يا أبا قتادة، استحييني، قلت: لا، والله حتى ترد الهاوية.

ثم قتلتُه وأدرجته في رداء، ثم أخذت ثيابه فلبستها، ثم أخذت سلاحه، ثم استويت على فرسه، وكانت فرسي نفرت إلى العدو حين تصارعنا فعقروها.

ثم تقدمت بسرعة، حتى أشرفت على ابن أخيه وهو في سبعة عشر فارسا، فأشرت إليهم فوقفوا، فلما دنوت منهم حملتُ عليهم حملة وطعنتُ ابن أخيه طعنة دققت عنقه، وهرب من كان معه. وأخذت النوق التي كان العدو قد تركوها إثر هجوم سيدنا سلمة ابن الأكوع.

وهناك تفصيل لهذه الغزوة أتناوله مستقبلا، إن شاء الله.

****